سوسولوجيا اللغة في المجتمع الجزائري المعاصر

"التنوعات اللغوية والممارسات اللسانية "

د. حسني هنية

مخبر المسألة التربوية الجزائرية في ظل التحديات الراهنة

جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص :

ينتمي هذا الطرح إلى الدراسات السوسيو– لسانية، حيث يتناول هذا الأخير علاقة بنية اللغة والمجتمع، ومختلف التبيونات الثقافية اللغوية والاجتماعية التي تميز المجتمعات المتعددة الثقافات واللغات. كمجتمعات الشمال الإفريقي؛ والتي من بينها الجزائر؛ حيث تميزت الجزائر بالتنوع الثقافي واللساني على الامتداد الجغرافي الذي حددها، وذلك منذ الوجود الأول للعنصر البشري في الجزائر.

لذلك أردنا في هذا الطرح المتواضع التعرف ولو بشكل مختصر عن طبيعة وشكل هذا التنوع اللغوي وعلاقته بالهوية اللهوية لهذا المجتمع من حيث الممارسة اللسانية لأفراد المجتمع، ومن حيث الاعتراف الاجتماعي بهذه اللغات.

Abstract:

This thesis is part of the Socio-Linguistic Studies. It deals with the relationship between the structure of language and society, and the various linguistic and social linguistic adaptations that characterize multicultural societies and languages. Such as Algeria, where Algeria has been characterized by cultural and linguistic diversity over its geographical extension since the first human presence in Algeria.

So we wanted in this humble proposition. To identify even briefly, the nature and form of this linguistic diversity and its relationship to the identity of God for this community in terms of the linguistic practice of members of society, and in terms of social recognition of these languages.

1. مدخل للتعرف على الهوية الغوية للمجتمع الجزائري:

تعد الدراسات السوسيولوجية المعاصرة للمجتمعات وبناءاتها ومكوناتها الاجتماعية والثقافية واللغوية ومختلف مراحل نشأتها وتطورها، من أهم وأصعب الدراسات الاجتماعية. نظرا لطبيعة المعقدة والمتداخلة بين المكونات والأبنية الاجتماعية واللغوية والثقافية، خاصة في المجتمعات ذات التعددية اللغوية والثقافية،

والتي تمتاز بقوة احتكاك وتماسك أفراده. باعتبار أن مفهوم المجتمع يبقى هو: "الوحدة البشرية والمعرفية والجغرافية والثقافية والسياسية.

والتي يقع فيها تنظيم عمليات وقنوات الإنتاج والاستهلاك (المستوى الاقتصادي) وتوزيع الأدوار ومراتب السلطة (المستوى السياسي) إضافة إلى توزيع رأسمال القيِّمي الرمزي حسب لغة بورديو (المستوى الثقافي)"[1]، والمجتمع الجزائري، كذلك هو وحدة بشرية متفاعلة وفق حدود تاريخية وجغرافية وسياسية: رُسَمت شخصيته الاجتماعية والثقافية عبر تطوره التاريخي. في العديد من المراحل والحقبات التي ميزت الجزائر في إطارها الجغرافي والتاريخي المنتمي للشمال الإفريقي. ذلك إن الاهتمام العلمي بدراسة تطور المجتمع الجزائري المعاصر تتجلى بصورة واضحة مع بداية الستينات إذ "أبدى عدد كبير من المختصين اهتمامًا كبيرًا بخصائص التحولات الاجتماعية للجزائر في ظل عدم الاستقرار الاجتماعي"[2].

مرّ المجتمع الجزائري منذ حقب تاريخية قديمة بأطوار وأسماء، تناولها عدد من الباحثين والكتّاب قديمًا وحديثا. قال القديس الجزائري **أوغسطين** عن أصول مجتمعه الجزائري آنذاك: "إن سألتم سكان البوادي عندنا فنوميديا (الجزائر الشرقية) قالوا: نحن كنعَانيُون"[3]، ويوضح المؤرخ **ابن خلدون**، مشيرًا إلى أحفاد الكنعانيين فيقول: "البربر هم أحفاد مازيغ بن كنعان، قدموا من فلسطين "[4].

وقد تطرق الشيخ **عبد الرحمان الجيلالي** إلى ظروف وصول البربر هؤلاء، إلى ربوع الجزائر فقال: البربر هم الكنعانيون الذين هاجروا من فلسطين إلى مصر بعد

---

[1] مصطفى محسن، **في المسألة التربوية نحو منظور سوسيولوجي متفتح**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص.51.

[2] إسماعيل قيرة وآخرون، **مستقبل الديمقراطية في الجزائر**، مركز دراسات الوحدة العربية، مصر، 1999، ص.200.

[3] عز الدين المناصرة، **الهويات والتعدد اللغوي**، دار مجدلاي، الجزائر، 2004، ص.241.

[4] عز الدين المناصرة، مرجع سابق، ص.241.

هزيمة جالوت الفلسطيني، ثم واصل البربر طريقهم إلى شمال إفريقيا سنة 1059ق.م، وسنة 1055ق.م". لقد تجلت تسمية البربر التي أطلقت على سكان

الجزائر منذ عصور ما قبل الميلاد، نسبة إلى **مَازِيغ بن كنعان**، فالبربر هم السكان الأصليين للمنطقة، لكن المؤرخين يقرّون بامتزاج هؤلاء البربر، بالعنصر العربي هنا في الجزائر لأسباب يطول الكلام فيها ونكتفي بما أكده الباحث **أندرية آدم:** "العرب والأمازيغ وحدة حضارية لا يمكن أن تنكر"، وقصد الوصول إلى سمات البنية اللغوية لهذا المجتمع، "لابد من البدء من طبيعة هذا المجتمع، ومختلف مكوناته، فبدون النظرة العامة للتاريخ والمجتمع في حراكه الدائم، ستبقى كثير من أحكامنا على الحاضر والمستقبل مجرد تخمينات لا تخلو من الهوى والنّزوات والأحكام القطعية غير المؤسسة "[5].

ولتحقيق هذا الهدف، لابد من إطلالة على تاريخ هذا المجتمع وحَيْثِيَّات ظهوره بالشمال الإفريقي، كما لا يفوتنا الوقوف عند فحوى أهم التسميات التي أطلقت على أصول وجذور هذا المجتمع قديما مثل اسم بربر واسم أمازيغ نبدأ بما تؤكدّه " الدراسات الأنثروبولوجية بأن ظهور الأمازيغ كان في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد، وفي اللف الرابعة وما بعدها، تدلنا السجلات المصرية، أن الأمازيغ كانوا موجودين بالغرب من مصر على شكل جماعات، لكل منها اسمها الخاص... وتنوع هذه الجماعات يدل أيضا على تنوعها اللغوي كما هو الحال اليوم "[6].

أما عن فحـــوى تسمية **أمازيغ** فـ " كلمـــــة أمازيغ هي من مَازيغ بن كنعان بن حـــام مـــن أبنـاء برانس وأبناء مذْغيس واسم أمازيغ كان شائعا عن الفينيقيين والرومان ويعنى الحر، النّبيل، كما استعملها المصريون في ذات المعنى: (الحر الذي يمقت الاحتقار)، وذكر الأستاذ **محمد مختار العرباوي** في كتاب: التيجان في ملوك حِمْيرَ: كم كانت دهشتي عظيمة عندما عثرت فيه على اسم: أمازيغ وكان من

---

[5] Achour cherifi, **Encyclopédie**, magrébine, casba, Algérie, 1999, P.100.

[6] محمد العربي ولد خليفة، **الجزائر المفكرة والتاريخية**،دار الأمة، 1999، الجزائر، ص.242.

ابرز الأسماء التي ترددت كثيرًا من سرد إحداث ذات أهمية في تاريخ ملوك حِمْير "[7].

لقد تبين لنا مدى اقتران هذه التسمية بمواصفات أجداد المجتمع الجزائري، الأمازيغ منهم على الخصوص، وذلك من نبل وتطلع إلى الحرية ورفض لكل ماله صلة بالتحكم والتسلط والظلم الذي قد يطاول كرامتهم من أي جهة خارجية كانت، ثم وردت تسمية البربر لتزدان بمفهومها يقينا من أنفتهم وثوراتهم على ما لا يرضيهم ولا يصون علياءهم،" البربر: اسم يطلق على سكان افريقية الشمالية من برقة إلى المحيط، واشتهروا منذ عهد الرومان بتمردهم وثوراتهم، ومن ممالكهم القديمة (نوميديا... دخل معظمهم الإسلام على يد عقبة بن نافع، شاركوا في فتح اسبانيا... منهم سلالات ودول: الأغالبة، الرستميون، المرابطون، الموحدون، هم اليوم سكان جبال الأوراس والأطلس وبلاد القبائل والصحراء "[8].

ونعود كما أشرنا آنفا إلى أسباب امتزاج هؤلاء البربر بالعرب الفاتحين لما دخلت الجزائر في الدين الإسلامي، لقد "استقر الإسلام في الجزائر منذ النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، كما عرَّب (الأمازيغ) السكان الأصليين نتيجة الإمتزاج المتبادل بينهم وبين العرب الفاتحين"[9].

وعاش المجتمع الجزائري لحمة واحدة، مسلما، متماسكًا بفضل تعاليم هذا الدين الحنيف الذي أزال الفرقة بين العربي والأعجمي: "طعم هذه الوحدة، وحدة العقيدة الإسلامية، فقد حدَث امتزاج حضاري وسكاني، استمر أكثر من ألف عام نتج عنه تبادل تلقائي للسمات الثقافية بِمخزونها التراثي الجديد والقديم، أسفر عن

---

[7] **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1987، ص.302.

[8] المرجع السابق، ص.305.

[9] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، **فلسفته وجهوده في التربية والتعليم**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص.70.

إرث مشترك بين جميع الجزائريين العرب والأمازيغ"[10]، لقد مَرّ هذا المجتمع، صاحب المبادئ الرّاسخة في شهامته وعزة نفسه، بأطوارٍ متتالية عكّر صفوها الاستعمار الذي أراد أن يسلبه قيمته الحضارية والإنسانية، لكن شخصية هذا المجتمع أثبتت العكس إذ "من النادر أن يحافظ مجتمع على كيانه المتماسك في غياب الدولة، وإنكار وجودها أصلا، كما حدث في الجزائر لمدة قرن وثلث، وعلى الرغم من أن المجتمع الجزائري لم يكن في أي وقت أقلية في بلده، فإن بقائه كيانًا واحدًا ومتماسكا يرجع أساسا إلى رسوخ الهوية العربية الإسلامية والتقبل الطوعي لوحدة المرجعية الجماعية"[11].

المجتمع الجزائري، ذاك المزيج من عرب وأمازيغ، دينه الإسلام، قد فصل منذ القديم في انتمائه اللغوي، وأي لغة مكتوبة يراها مرجعًا له دون اللغة العربية التي نزل بها الدين الحنيف: "فقد اعترفت الجزائر منذ الاستقلال بأن اللغة العربية هي اللغة الوطنية وهي لغة الدولة، والإسلام دينها، هذا ما عبَّرت عنه في كل الدساتير التي اعتمدتها بعد الاستقلال، حيث انتهجت الجزائر سياسة التعريب... غير أن حركة التعريب هذه قد لاقت تعثرات واضحة من طرف النخبة الفرانكفونية الجزائرية "[12]، فمع هذا لم يّسْلم المجتمع الجزائري من الهزات الأيدلوجية، مع مر السنين: " فهناك تشكيلات... ثقافية تتبنى المطالبة بالأمازيغية "[13].

وقد ساءت الأوضاع السوسيولوجية للجزائريين مع حلول التسعينات من القرن الماضي، نتيجة الانفلات الأمني مقترنا مع " قائمة طويلة من الخطايا والأخطاء، يصنفها البعض في باب المفاسد والفواحش، ويعتبرها البعض الآخر مراجعات

---

[10] عبد الحميد زوزو، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة**، دار هومة للطابعة والنشر بوزريعة، الجزائر، 2005، ص125.

[11] محمد العربي ولد خليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، شركة التوزيع فالة، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص181.

[12] أحمد بن نعمان، **كيف صارت الجزائر مسلمة عربية**، دار الأمة، الجزائر، 1993، ص.40.

[13] إسماعيل قيرة وآخرون، مرجع سابق، ص.212.

واجتهادات، فيها كأي جهد أنساني، مقدرًا من الصواب والخطأ... ولاشك أن لتلك الملابسات علاقة بزلزال أكتوبر 1988 "[14].

ونصل إلى الكلام عن مشروع هذا المجتمع الجزائري وكيفية صياغته إذ لا يجب أن ننسى أننا: "نحن جزء من هذا العالم نتأثر بما يحدث فيه من تحولات ونتطلع إلى تبوء مكان فعّال ومؤثر فيه يدعو إلى التآخي والسلام... إن الاستقراء للتجربة التاريخية يثبت باليقين أن الشعب الجزائري لم يتخل ولم يفصل أبدًا بين أربعة مطالب قادت كفاحه ولازمة طبعه وهي:

أ. مطالبة الحرية والحق في المواطنة في دولة سيدة وديمقراطية

ب. العدالة الاجتماعية وفق معايير الاستحقاق وتساوي الفرص

ج. الهوية العربية الإسلامية بأبعادها الروحية والحضارية العربية الأمازيغية.

الشغف بالتقدم والتواجد في صميم العصر وتجاوز التخلف المورث أو المفروض[15]

إن المجتمع الجزائري هو وحدة بشرية يمتاز في طياته بخصائص ذات جذور تاريخية " لقد حصل امتزاج العنصرين الأمازيغي والعربي بشكل لم يسبق له مثيل، وخلال تلك القرون الطويلة من التصاهر والتعايش أصبح العرب والأمازيغ أمة واحدة، لا مكان فيه للعرق أو لسلالة من السلالات، ورفضوا كل إشكال المسخ الثقافي (La Déculturation) الذي يبعدهم عن سلالة واحدة (أمازيغ عرب) ومن ذلك الدمج حصلت قوة كبرى في توطيد أركان الدول التي حكمت هذه البلاد "[16].

إن ذاك التصاهر وهذا التعايش كلأهما قد ميزا المجتمع الجزائري الأول، وأسباب ذلك كانت موضوعية، حتى أصبح يلقب بمجتمع عربي مسلم، حيث لم يمنع هذا التنوع اللغوي والثقافي عملية التكامل التماسك التي ميزت المجتمع الجزائري. غير أنا هذه التنوعات اللغوية واللسانية قد تغيرت في شكلها وممارساتها كخصية تميز

---

[14] Hassan Remaoun, **L'algirie histoir, societe et eculture, casba edition**, Algeria, 2000, P.30.

[15] العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية،مرجع سابق، ص.208.

[16] صالح بلعيد، **في الهوية الوطنية**، دار الآمال، الجزائر، 2007، ص.9.

المجتمع الجزائري المعاصر. **فماهي طبيعة البنية اللغوية في هذا المجتمع ؟ وكيف هو شكل الممارسات اللسانية السائد في السوق اللغوية الجزائرية ؟ وكيف اثر التنوع اللغوي اللساني على ترتيب اللغات في الجزائري ؟**

وكمحاولة للتعرف على سوسيولوجيا اللغة ومختلفة التنوعات اللسانية وممارستها الكلامية في أوساط المجتمع الجزائري نتعرض للعناصر التالية

2- البنية اللغوية وسمة التنوع اللغوي في المجتمع الجزائري :

"من وراء وصفنا الواقع السوسيولساني الجزائري...نرُومُ تَقصِّي هذا الواقع بالنظر إليه كإطار تاريخي وإيديولوجي ونفساني وأخيرا لساني. إذن فلكل مجتمع واقعه السوسيولساني الذي يعكس جذور أفراده، ويلهمنا نحن بذلك بتصوراته الروحية وشعوره الوجداني، بما تترجمه ألفاظه المتنوعة والمتباينة.

غير أن المتتبع لهذا التحليل قد يرجوا معرفة الخصوصيات اللغوية وما تعكسه من إشكاليات لسانية، هي في الواقع السّمة البارزة للبنية السوسيولسانية للمجتمع، والواضح في هذا المنوال أن مجتمعا جزائريًا هو ذاك الذي وصفه الأستاذ صالح بلعيد بـ: " الموزاييك " إذ لابد له أن ينضح بتنوعات لغوية تنبع من أصوله وأطيافه التاريخية: " إن ما يلفت انتباه الملاحظ ويشده حينما يكون إزاء واقع شبيه بواقع الجزائر، هو تعقد هذا الواقع، الذي مردّه إلى وجود لغات أو بالأحرى عدة تنوعات لغوية (Variétés linguistiques) كذلك بسبب تشابك وتداخل عدة مجتمعات لها تصوراتها ومجالات استعمال بعينها، وكذلك من حيث الممارسات الحقيقية للناطقين، وهاهنا نلمح إلى ظواهر التعاقب اللغوي أو التناوب اللغوي (Lode Soitchnig) أي الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام أو (L'alternanceCodique) والاقتراض (L'enupruent)[17].

---

[17] Abd elrezak douri, les **malaises de la société Algérienne crisedelangues et cise d'ide**, tite, casba, éditions, P.7,8

أما الباحثة خولة طالب الإبراهيمي فأشارت إلى الموضوع من زاوية أخرى هي زاوية " ثنائية لغوية متناقضة... نلاحظ أن الثنائية تتحقق في المجتمع الجزائري من خلال القيم التي يتبنَّاها الناطقون لكل تنوع لغوي في السوق اللغوية على حد قول: بيار بورديو، ولكن هذه الثنائيات في الشكل التالي: (عربي، أمازيغي) (معرب، مفرنس) (أمازيغي، مفرنس) إلى جانب اللغة العامية (وهي عربية مع تغير بعض حروفها عند النطق) وتكون إما عربية عامية أو عامية مختلطة بالفرنسية أو بالأمازيغية.

وفي الحالة هذه نستطيع ترتيب اللغات المنطوقة في الجزائر من حيث الأولوية؛ أي من حيث كثرة الاستعمال وقلته، إذ " تتعايش في الجزائر... عدة تنوعات لغوية أو بالأخرى عدة دوائر لغوية... إن الدائرة الأولى هي الأكبر من حيث العدد وانتشارها الجغرافي، وهي التي يكثر فيها استعمال اللغة والتي بفضلها تشترك الجزائر الرقعة الجيوسياسية للعالم العربي... فالعربية هي السمة الأساسية المحددة "[18].

أما عن الناطقين في الدائرة الثانية أي الأقل عددًا على حد قول الباحثة " إن أهم المناطق الناطقة بالبربرية في الجزائر هي: الأوراس، جرجرة (القبائل)، الهقار، ميزاب... هذا وتضم الأوراس ووادي ميزاب والقبائل جل السكان الناطقين بالبربرية "[19]. أما الأقل انتشارا في اصغر دائرة لغوية بالجزائر فهي الفرنسية التي: "هي أكثر اللغات الأجنبية بقاء وتأثيرا في الاستعمالات، الأمر الذي جعلها تضفي بمنزلة متميزة في المجتمع".

يتضح مما سبق أن الفئة المهيمنة على الساحة للغوية الجزائرية هي الناطقة باللغة العربية والثانية الفئة الناطقة بالأمازيغية والغريب أن الفئة الناطقة بالفرنسية تنتمي في أصولها إمّا للعرب أو للأمازيغ هذا لأن تغلغل اللغة الفرنسية كان يرمي

---

[18] خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص.14.

[19] المرجع السابق، ص.25.

إلى أهداف تسلطية ولا علاقة له بجذور الفئة الناطقة بها، يقول الأستاذ صالح بلعيد مبينًا الأهداف الحقيقية وراء الفرنسية: " فإذا كانت اللغة الفرنسية هي المنفذ لنا، فلم لا نأخذ الإنجليزية فهي أكثر تقدمًا، ومن هنا نعلم أن الصراع ليس في اللغة، بالقدر ما يمكن في نيل المساحة الاستعمارية للغة الفرنسية التي تتقهقر في بلدنا، وتنظر إلى ما وراء السماء لتكون لغة السيادة، فالصراع فرانكفوني في المقام الأول"[20].

ويبقى إذن إلقاء الضوء على العلاقة بين الناطقين باللغة العربية وبالأمازيغية، هؤلاء العرب والأمازيغ الذين يذهب المؤرخون إلى الفصل في قرابتهم قائلين عنهم: " أن الأمازيغ (البربر) هم أبناء عمومه العرب، وأنهم من مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام[21].

ويؤكد ابن خلدون المقولة: "إنهم بن بني عرين بن قيس بن عيلان وهي قبيلة مضربة وهم ساميون عرب[22]. ويبقى أن نعلم أن الأمازيغ لهم لهجات مختلفة، تختلف في النطق وبعض الكلمات لكنها تتفق في المدلول: " وقد ذلّ التحليل اللغوي أن الأمازيغية مثل الجبايلية والسلحية " هي لهجات قديمة متفرعة من كتلة لغوية واحدة هي كتلة اللغات العربية.

لقد بان فيما سبق مدى التلاحم العربي الأمازيغي منذ حلول الفاتحين العرب وأصبح جليًا الآن أن الشعب الجزائري هو ككتلة واحدة ولا غرابة في ذلك ما دام العرب والأمازيغ في الأصل هم أبناء العمومة وهو ما شهد به المؤرخون أنفسهم، وما أن استتبّت الديانة الإسلامية عندنا حتى وجدت الفئة الأمازيغية متفرقة إلى قبائل: " بل تتوزع القبائل الأمازيغية في الجزائر على مساحات واسعة حيث سكن الجزائر ثلاث قبائل هي: (كتامة، عجيسة، أزداجة)" [23].

---

[20] Hassan Remaoun, Op-cit, P.63

[21] صالح فركوس، **تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية لاستقلال**، دار العلوم والنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005، ص.19.

[22] محمد الميلي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، ط2، الجزائر، 1980، ص.48.

[23] Hassan Remaoun, Op-cit, P.61.

ويتناول المؤرخ محمد الميلي الموضوع بتحديد نواحي تواجد هذه القبائل فيقول: "إن كتامة سكنت مناطق الشرق الجزائري، وعجيسة كان موطنها جبال تبة وأما أزداجة فقد كانت بنواحي تلمسان ووهران"، فمع هذه القبائل الأمازيغية المتفرقة الأصول والأسماء، راح الدين الإسلامي مازجًا بينها بوحدته وتعاليمه المقدسة.

غير أن اختلاف الباحثين في تحديد الامتداد التاريخي والجغرافي للتنوعات اللغوية في الجزائر، بلإظافة لتعرض الجزائر للفترة الاستعمارية و ما خلفته من انقسامات وصراعات، قد اثر على التحديد المبكر والواضح للخطاطة التنوعات اللغوية في الجزائر. وكذا عدم إجرائية هذه الخطاطات التي لا تقوى الإحاطة بواقع متقلب تتخلله صراعات خفية... في طور التغيرات الجمّة بسبب آثار السياسة الثقافية... وكذلك بسبب تشابك وتداخل عدة مجتمعات متعايشة لها تصوراتها ومجالات استعمال بعينها...". فصفوة الحديث هي وجود واقع سوسيولساني جزائري مركب بعدة لغات المنطوقة قديما وحديثا، وكذا تشابك وتداخل وتعايش تلك المجتمعات ذات اللسنة المختلطة، نظرًا لاختلاف جذور هذه الكتب التاريخية وتنوع تصوراتها وقناعاتها السياسية منها، والثقافية، أما عن اللغات المنطوقة في الجزائر فقد نجد من يرى: " وجود ثلاث لغات متعايشة: الأمازيغية، بلهجاتها المختلفة واللغة العربية بنوعيها (الفصحى والدّارجة) واللغة الفرنسية..."[24]. إلا أن الملاحظ هنا هو الترتيب الذي اعتمدته الباحثة خولة الابراهيمي في إعطاء الأولوية للغة الأمازيغية ظنًا منها أنها اللغة الأكثر تداولاً في أوساط المجتمع الجزائر: "إن اللغة الأمازيغية لغة وطنية في الجزائر وتعتبر من المقومات الأساسية للشخصية الوطنية"[25].

هذا بينما نجد باحثين آخرين يرون خلاف ذلك ومنهم الأستاذ صالح بلعيد الذي وكأنه يرد على الباحثة بموضوعية مُطلقة: " ولِنَكُنْ براغْماتِيين في التعامل

---

[24] لاصب وردية، **اللغة الأم**، جماعة من المؤلفين بجامعة تيزي وزو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص.64.

[25] المرجع السابق، ص.65

اللغوي، فهل تخرجُنا الأمازيغية من التخلف علمًا أن العربية أقوى منها... إن العربية اسمنت اللّحمة الوطنية الجزائرية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب... نحن الأمازيغ نعشقها... فهي جزء منّا... فهي تعلو على الأمازيغية... هي لغتنا الأم..." [26].

وتسترسل الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي في وصفها للغات التي تتداولها الألسنة فتضع هي الأخرى اللغة العربية في المرتبة الأولى، من حيث الانتشار وتكتب تحت عنوان كما سبق وذكرنا " الدائرة التي يكثر فيها استعمال العربية... إن الدائرة الأولى والتي هي أكبر من حيث العدد... هي التي يكثر فيها استعمال اللغة... فالعربية هي السمة الأساسية المحددة..."[27].

بهذا نصل إلى وضع خطاطات الأرضية، تبلور في فضائها الواقع السوسيولسانسي الجزائري – المعقد– بينما، وفي كل مرة، تبرز الحيثيات التاريخية والجذور الأصلية كإطار استراتيجي لتوزيع ألْسِنة الناطقين الجزائريين إلى فئات لمخارج الحروف تتشابه أيّما تشابه، في التعبير باللغة العربية وباللغة الأمازيغية، بينما تختلف اختلافا جوهريا عند الناطقين بالفرنسية، ولا غرابة في هذه الإشكالية مادام الأمازيغ هم أهل البلاد وتعايشهم كان حثيثا مع العرب الفاتحين، ثم نأخذ من هؤلاء وأولئك عينة، – احتكّت بلغة الأجنبي واعتمدت لغته حتمًا– وتزكية لهذا التحليل فإن انتشار اللغة العربية في أوساط المجتمع الجزائري كان بفضل كل من" اللغة العربية والإسلام، كل لا يتجزأ... فالعربية هي المعبر الأساسي عن هذا الدين.

3.طبيعة الواقع السوسيولساني و إشكاليات التحول اللغوي في الجزائر المعاصرة:

إن طبيعة الواقع السوسيولساني في الجزائري يتصف بالاختلاف، لاسيما في لغات حواره المتباينة من فئة اجتماعية إلى أخرى، وفي سمات تلك اللغات، من مكتوبة ومنطوقة على السواء إلى منطوقة فقط، ففي الشق الأول نجد اللغات التي

---

[26] صالح بلعيد، في الهوية الوطنية، مرجع سابق، ص.17، 20، 21.

[27] خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص.14.

ينطقها المجتمع ويستطيع الكتابة بها هي اللغة العربية واللغة الفرنسية، بينما في الشق الثاني نجد لهجة عامية مسموعة فقط غير مكتوبة شأنها في ذلك شأن اللغة الأمازيغية في مناطق المنتمين إليها. نحن نرى في هذا الطيف اللساني طبيعةً وواقعا فطريا أو مكتسبا، كل فرد حسب انتمائه إلى جماعته اللغوية وبقدر ما تزوّد المتكلم بقدرات لسانية من ذويه، ومن دائرة تعايُشه، ونورد هنا آراء بعض الدَّارسين لهذه الخصائص اللسانية الذين ربطوا كل مجتمع بلغته ووضعوا – "علم اللغة "[28]– ضمن قائمة العلوم الاجتماعية: "تُرتبط اللغة بالمجتمع ارتباطًا وثيقا... بحيث أنها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس... لهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية "[29]، يرى الأستاذ الباحث: **وليم مَارْسِى .W Marçais** في شأن اللغة العربية أنها: " تتراءى... في مظهرين مختلفين:

1. لغة أدبية توسم باللغة المكتوبة...
2. لهجات منطوقة لم تعتمد أية واحدة منها في الكتابة...".

وهذين المظهرين أطلق عليهما وليم مارسي اسم: " الثنائية اللغوية في Digbssie"، إذن هذه الثنائية هي راسخة في طبيعة المجتمع الجزائري مادام ينطق باللغة العربية الفصحى ويتعامل بها نظرًا لوجودها في المؤسسة التربوية كلغة أولى فقد وصفها الباحث صالح بلعيد بـ " مكمن المدرسة وما يلحق من مؤسسات تربوية وتعليمية، مكمن للإنتاج الفكري والإبداع والإعلام...[30]. في حين تصفها الأستاذة لاصب وردية بأنها: " فوق الأداءات اللغوية التي يتواصل بها المجتمع، وتعتبر اللغة العربية اللغة النموذجية التي لديها قوة، فرضت نفسها بفضل ترفّعِها على خصائص اللهجات...، وهذا ما أعطى صفة الوطنية للغة العربية اجتماعيا ورسميا

---

[28] بوزيد سامي هادف، **الازدواجية اللغوية في الجزائر**، كلية الآداب جامعة قالمة نقلا عن:

http://brahmi dlogspotcom.blogspot.com/9635 html- le 15-10-2014

[29] خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص.37 –36.

[30] صالح بلعيد، في الهوية الوطنية، مرجع سابق، ص52.

وفق ما نص عليه الدستور في شأن اللغة العربية أي أنها – وطنية – ولا بأس أن نعرِّف "وطنية" بمدلول هذه الكلمة، تعميما لمفهوم شموليتها، فوطنية هي: " التي تغطي الوطن كله أو معظمه "[31].

فالطابع العربي إذ بدا هو السائد في الوسط اللساني الجزائري بلا منازع، لكن مع هذا لا يجزم الجزائري نفسه من الكلام باستعماله اللهجة العامية، إذا أراد التخاطب دون العمل بها، أي تدوينها واللهجة أصلا هي: "اللسان أو طرفه"[32]، اصطلاحا، والمدلول هنا هو: " لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها"، فاللهجة العامية هي عربية لدى الناطقين بل وهي " متعددة ومختلفة، ويجدر أن يعبّر عنها بالعاميات لأنها في الحقيقة كثيرة..." ، والعامية أخذت مصطلحا مرادفا هو – الدّارجة– وتعني "من المصطلحات التي تطلق على لغة الحديث والتعامل اليومي... وكلمة الدّارجة، لما تتضمّنه العامية من دلالة طبقية وصفات تحقيرية، استهجانية لا تليق بالبحث العلمي المجرد"[33]، وقد يطول النقاش هنا لو أردنا معرفة هل هي لغة أم لهجة ! فالأستاذ محمد الأشرف قد أصَّر مثلا، على تسمية العامية، كمثيلاتها باللغة: " لقد احتفظت الجزائر بلغتها المكتوبة الفصحى وبلغتها الدّارجة التي لا تعتبر مجرد لهجات، بل كثيرا ما تستعمل في الثنائية اللغوية المفيدة في أغراض التعامل والتفاهم".

أما نحن فقد اتضحت لنا الصورة إزاء الثنائية اللغوية التي تضم لغتين عربيتين: فصحى ودّارجة (العامية)، جعلت من الواقع السوسيولساني طبيعة موَّحدة، خاصة وأنّنا نكسب التأييد من الأستاذة الباحثة صونية بكال التي أشارت إلى اللغتين بقولها: " تُعدّ... واسعتيْ الاستعمال مما جعلني اسلم بوجود ازدواجية لغوية، كما

---

[31] محمد الاوراغي، مرجع سابق، ص.78.

[32] المنجد في اللغة والإعلام، مرجع سابق، ص.322.

[33] نقلا عن موقع الدكتور بوزيد سامي هادف http://brahmi dlogspotcom.blogspot.com 15-10-2014

تختلف ميادين استعمال كل لغة[34]، فلا غرابة إذن أن اللغة العربية الفضاء السوسيولساني الجزائري، بشقيها الفصيح والدّارج، هي مقوِّم من مقومات الناطقين الجزائريين في الدرجة الأولى، مادام سواء هذا المجتمع ينطق بها، فصيحة ودّارجة على السواء، أما وإذا عرجنا إلى مناطق التجمع الأمازيغي فسوف نجد أن الحوار بينهم يغلب عليه الطابع الأمازيغي الشفوي: " فالعربية والأمازيغية... هما من شجرة واحدة، أصبحتا لغتين مندمجتين ومتراكبتين، تجانست بينهما المعجمية، في ثنائية تحليل الواحدة على الأخرى في سياق اعتراف المجتمع الجزائري بانتمائه إلى مرجعيته الحضارية: الأمازيغية، العروبة والإسلام".

فالأستاذ الباحث في هذا الشأن عمل على تقريب اللغتين العربية والأمازيغية من بعضهما البعض فهو يروم أن يجمع بين المتكلم بالعربية والمتكلم بالأمازيغية في دائرة واحدة والواقع لا ينزوي وراء هذا الاستنتاج، ما دمنا نقر نحن من جهتنا أن اللغة العربية ومثيلتها الأمازيغية ليستا مستوردتين من خارج الواقع اللساني الجزائري

بل كل واحدة تعبر من جهتها على أصالة جزائرية واحدة، ، كل هذا يصح عند الكلام عن مظاهر طبيعة الواقع السوسيولساني قبل الاستقلال، لكن مع تعاقب الأحداث وتتابعها، برز صراع سوسيوثقافي قاده أنصار اللغة الأمازيغية، فتحركوا نحو الساحة السياسية من أجل طرح مطلبهم الثقافي، وهو إعادة النظر في الأولوية اللسانية وكان ذلك: " سنة 1980... أين انفجرت المسألة الأمازيغية بشكل حاد... أدت إلى مظاهرات ضد النظام، تطالب الاعتراف بوطنية الأمازيغية.

أما موقف المسئولين في الساحة السياسية فقد جعلهم يجبرون على تفهّم المطالب فاتخذوا حلا وسطا لإدخال اللغة الأمازيغية إلى الإعلام: " فمن الضرورة بما كان أن تكون للأمازيغ قاعدة إعلامية باللغة التي يفهمونها، وبات حريًّا تعديل قانون الإعلام والإشهار"[35]. وما أثلج صدور أنصار – وطنية الأمازيغية– آنذاك

---

[34] صالح بلعيد، اللغة الأم، مرجع سابق، ص.32.

[35] Hassan Remaohn, Op-cit, P.62.

أن أصبح " تعليم الأمازيغية يزيد في تمتين الوحدة الوطنية، بل ستكون مقوما من مقومات التوحيد الوطني..." ، هكذا خطت اللغة الأمازيغية خطوات جبارة بدخولها الساحة التعليمية بعد حوالي ربع قرن من استقلال الجزائر اعترافا بوطنية الأمازيغية..."[36].

أما الواقع السوسيولساني فقد تطور بعد هذا الانفتاح على اللغة الأمازيغية التي فسح لها المجال أن تكون لغة الدراسة والتعامل الثقافي بعد أن كانت منحصرة في مجال التخاطب المحض، ألم يصدق الباحث صالح بلعيد لمّا بادر إلى المساواة بين اللغة العربية واللغة الأمازيغية بقوله: " فالعربية والأمازيغية... هما من شجرة واحدة "، وذلك بمجرد ما التفت إلى أصول العرب والأمازيغ الموحّدة ؟ بَلاَ، فجذور هذه الشجرة واحدة وأغصانها ملتفة ببعضها البعض التفاف العنصر الأمازيغي والعربي في واقع سوسيولساني مشترك وموحّد، وللمجتمع الجزائري لسان ثالث هو فرنسي، حيث جاءتنا من البحر لغة استعمارية دخيلة، قدمت واستوطنت بلاد الإسلام ،ثم نالت من البنية التحتية اللغوية لجيل عاصر الحقبة الاستعمارية، فتتلمذ في مؤسسات فرنسية ونهل من ثقافة مغايرة لثقافة أجداده، ولقد استمر تأثير هذه اللغة إلي ما بعد الاستقلال ، لا بل حتى الآن.

لذا راحت الجزائر بعد استرجاع استقلالها تعاني من "مخلفات عهد الاستعمار، حيث ترسخ في أذهان بعض السياسيين والباحثين اعتقاد مفاده الانخراط في الحداثة يحصل بشرط الإبقاء على مستعمر الأمس، شريك اليوم فضلا عن الاحتفاظ بلغته "[37].لذلك اتخذ المسئولين في عهد الجزائر المستقلة موقفا حازما، إزاء تلك اللغة الفرنسية الدخيلة فكان: "الخطاب حول التعريب يشكل جزءًا من مجموعة الحجج التي يستند عليها الحكم ليضمن الاعتراف بمشروعيته"[38]، أين كان لمسار التعريب

---

[36] عز الدين مناصرة، مرجع سابق، ص.145.

[37] محمد الاوراغي، مرجع سابق، ص.11.

[38] جلبير غرانغيوم، مرجع سابق، ص.20.

في الجزائر مشوارا لغويا وسياسيا وإيديولوجيا طويل احتضنته اتجاهات كثيرة بتأييد والرفض.

أما وإن وضعنا المجتمع الجزائري تحت المجهر اللساني فإننا سوف ننتقي ميزة لسانية تنظم إلى الثنائية اللغوية، هي الازدواجية Lu bilinguisme " اللغوية الفرنسية/العربية الفصحى: تعد هذه الحالة الازدواجية لغوية لأن عدد متكلمين للغتين كبيرة، ويتمثل في كل المتمدرسين إلا أنه، لا يوجد اختلاف كبير بين استعمالات اللغتين، فبهذا يمكننا استعمال الواحدة مكان الأخرى، كتحرير طلب عمل، كثيرا ما يكون باللغتين"، أما الظاهرة اللسانية الثالثة، والتابعة للازدواجية اللغوية فهي " التداخل اللغوي: L'interfèrera أي كل إشكال المزج بين اللغات، هنا نستغني عن البيان، أن من يوظف التداخل اللغوي في خطابه، هو من يملك ازدواجية لغوية يستعير للواحدة ألفاظا وتعابير من الثانية، وقد تطول قائمة الظواهر اللسانية لو تمادينا في وصف ميراث الواقع اللساني عندنا، بل نكتفي بما هو منتشر انتشارا ملموسا مثل: "التعاقب اللغوي/التناوب اللغوي أي L'alternance codique وهو الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام"[39]، وكذا فالمستعمل للتناوب اللغوي هو فرد مرّ بالازدواجية اللغوية دون شك.

4. الممارسات اللسانية والتحول اللغوي في المجتمع الجزائري:

4-1 اللغة العربية وممارساتها اللسانية:

إن اللغة العربية في "...الجزائر... ليس لها رمز للوحدة مماثل ... ثم إن اللغة العربية في اقترانها بالإسلام تميل إلى لعب الدور الرمزي الأساسي لتجسيد الأمة"[40]، فاللغة العربية هي:" الضامن الأساسي للهوية... والوحيدة القادرة على الحيلولة دون الاندماج والتلاشي في الثقافة الأجنبية التي أدخلها الاستعمار، الذي لا يزال حاضرا بالغته وثقافته في ثنايا المجتمع الجزائري.

---

[39] خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص.13.

[40] جلبير غرانغيوم، اللغة السلطة...، مرجع سابق، ص.32 – 33.

إن موضوع الاهتمام بالبحث في اللغة العربية، لدى المختصين، ليكتسي شأنا مرموقا، معالجتا، تحقيقا وتدليلا، خاصة أن صلة الإسلام لدى الجزائريين، هي وطيدة بهذه اللغة، التي تبحث على إدراك عمق الإيديولوجية السمحة ونقاء التصور الروحي للمجتمع الجزائري عامة، فالجزائر "تنطق بالعربية منذ وصول الجيوش العربية الفاتحة المتعاقبة والتي كانت لها اليد الطولي في تعريب المغرب وأسلمته Son islamisation في الآن نفسه[41].فلم ولن تساورنا شكوك حول أصالة اللغة العربية فينا، إذا هي "... متأصلة في الواقع اللغوي الجزائري... تلقّن في المساجد والزّوايا، وفي بعض المعاهد الدينية التقليدية، ...ولعل المرجعية الدينية هي التي ضمنت لها أبديتها واستمراريتها وحالت دون تراجعها"[42].

كذلك امتازت اللغة العربية بشكلها وطبيعة ممارستها اللسانية في أوساط المجتمع المختلفة، حيث نلاحظ تواجدها النوعين المعروفين للغة العربية: المكتوبة والشفوية، لنصل إلى خصوصية اللسان الجزائري: فهو بقدر ما يتباين في آداءاته اللغوية، بقدر ما تختلف لسانيته في فلك اللغة العربية ذاتها، من متكلم ينطق ويكتب بلغة عربية فصيحة ومن متحدث يستعمل لغة شفوية عامية المعروفة بالدّارجة، والأستاذة خولة طالب الإبراهيمي تملك نظرة أشمل في هذا الباب، لكنها أدق من ذلك، لقد جمعت الباحثة أنواع الأداءات باللغة العربية وأطلقت عليها اسم "المستويات" فهي متنوعة وكثيرة حسب رأي الباحثة، كل مستوى ووفرة استهلاكه من طرف أفراد المجتمع اللغوي الجزائري، بينما نرى نحن مستويين اثنين فقط يسودان الساحة اللغوية بصورة يلفت إليها الانتباه وهما: مستوى(1) العربية الكلاسيكية و(2) مستوى العربية العامية أو الدّارجة"[43].

أ. مستوى العربية الكلاسيكية:

---

[41] Hassan Remaohn, Op-cit, P.63.

[42] لاصب وردية، اللغة الأم، مرجع سابق، ص.66.

[43] les Algerians et leur lingoes dar el nikma, P.70

هي "اللغة العربية المكتوبة التي تدعى أدبية أو فصحى أو كلاسيكية، ليست لغة للخطاب الشائع وذلك أن استعمالها يقتصر على المثقفين... فهي تظل لغة دولية بمعنى الكلمة... ولذا فهي تعدُ أداة ثمينة للتواصل والتماسك بين العرب"[44]، هذه اللغة الكلاسيكية لها بالفعل تاريخها وتتميز بأصالة فريدة فهي التي: " دوّنها وقعدها اللغويون والنحاة والبلاغيون ما بين القرن الأول والرابع الهجريين وستشهد هذه اللغة استمرارية منقطعة النظير عبر التاريخ والعالم بوصفها لغة القرآن"[45]

ب. مستوى اللغة العامية الدارجة:

"إن الجانب الإزدواجي طبيعي في كل اللغات ففي كثير منها تقريبا هناك لغة كتابة ولغة حديث، وهذا ما ينطبق على اللغة العربية التي تتفرع عنها الدّارجات ولكنها في تكامل وظيفي"، بين لنا هنا صالح بلعيد تفرع اللغة الدّارجة أي العامية عن لغتها الأم الفصيحة ثم أوضح أن وظيفتها لا تكاد أن تكون سوى وظيفة ومهمة تكامل، ما يوحي لنا أن العربية الدّارجة لا تنافس الفصحى في حال من الأحوال هذا ويضيف في تحليله موضحًا أن "... للعاميات العربية مستوى أدنى من مستوى اللغة الفصحى وتتعدد آداءاتها فقط "، وقولنا بأن اللغة العربية العامية هي أدنى من اللغة العربية الفصحى، نعني به أنها لغة لا تخضع للقواعد التي خضعت لها العربية الفصحى، وهو ما وصفته الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي بقولها أنها: "... ظلّت متباينة للمعيار الرفيع والمكتوب، وذلك من خلال الاختلافات الصوتية والصوتية الوظيفية phonologiques الواضحة. وقد انشغلت الباحثة بالمواطن الجغرافية لهذه اللغة العربية الدّارجة في الجزائر فبيّنت أن الجزائريين في أربع مناطق من الوطن يختلفون في النطاق عندنا ولهم للغتهم الشفوية هذه في "... أربع رقع لهجية ذات خصائص جد مميزة ومتغايرة:

أ. الرقعة الشرقية التي تشمل.. منطقة قسنطينة

---

[44] جلبير غرانغيوم، مرجع سابق، ص.93.

[45] خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص.16.

ب. الرقعة الوسطى التي تشمل ... منطقة العاصمة والداخل

ج. الرقعة الغربية التي تشمل ... منطقة وهران وما جاورها

د. الرقعة الصحراوية التي تشمل المجموعة اللهجية من الجزيرة العربية إلى سواحل المحيط الأطلسي. [46]

وما تجدر الإشارة إلي أن العلاقة بين اللغة العربية الفصحى واللغة الدارجة يرى الباحثون في مجال التداخل اللغوي، أن الطفل قبل بلوغه سن الدراسة قد ينهل من اللغة الدّارجة قبل إدراكه لغة فصيحة هي بالنسبة له لغة – ثانية– يكتشفها في المدرسة كلغة كتابية لها أوزانها وقواعدها، فيستفيد من الأولى لتعلم الثانية. "ومن هنا نجد أن العربية الفصحى قد عرفت اللحن والخطأ بسبب العامية التي اكتسبها من المحيط

الاجتماعي"[47]، إذن فالمجتمع – العربي اللساني– في الجزائر قد نستخلص أنه بدأ بلغة دارجة أوصلته إلى مقاعد الدراسة حيث اخذ من خزائن اللغة الفصحى، ثم بقي مستأنفا رصيده اللغوي بتفعيل لغة دّارجة "مواقف الأنس"، كما يحلو للأستاذ صالح بلعيد تسميتها.

2-4 الممارسات اللسانية للغة الأمازيغية:

إن مكامن اللغة الأمازيغية كثيرة "رغم كونها مستودع تقاليد وتراث... إلا أن اللّهجات القليلة... لم تحظ بالتقييم والتوجيه، بل ظلت دومًا عرضة للهيمنة والتهميش ... فانطلاقا من هذا المقال نطّلع بادئ ذي بدء، على امتزاج هذه اللغة بعدد من لهجاتها، البربرية، كلها بالطبع، ومع هذا فهي لم ترقى إلى القيمة اللغوية ذات القواعد المضبوطة، ربما ذلك الذي تركها تئن تحت ظلال التسلط وسط زخمٍ لغوي، سلبها استقلاليتها المطلقة لصالح عناصر لسانية أخرى، بجوارها إنها أي الأمازيغية " التي تعتبر لغة الأم لدى معظم الجزائريين، تَشهد حركات متعددة

---

[46] خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص.19 و18.

[47] Noureddine toualbi, **L'identité ou magreb**, édition el casbah, Algérie, 2004, P.32

تطالب بالاعتراف القانوني بلهجاتها المختلفة... وهذه اللهجات التي كانت ولا زالت تحتدَّبُ في ساحة ضيقة جدًا عنوانها: التواصل"[48].

إذن هذه هي اللغة التي تترجمها لهجات مختلفة ووصفت بأنها – تتحدّبُ– عناية على الأرجح، بمُعاناتها في الواقع اللساني، علّة ينظر إليها بنظرة واقعية وبصيرة وإلى شغفها، باستقلال نسبي لما تضبط أصول قواعدها فتتبوأ بذلك مكانة محترمة في – السوق اللغوية الجزائرية– ولا تختصر مهمتها في – التواصل– وحده، جليٌ أن اللغة الأمازيغية بعد هذه الطرحات، هي– معتلّة– بأزمات بل كانت مرمى لإشكاليات ثقافية، لغوية وسياسية منذ نشأتها على لسان الناطقين بها.

فأزماتها الثقافية وصلت إلى كف السياسة، لما اهتزّت لها الساحة الاجتماعية أكثر من مرة وزلزلت المشهد الثقافي– السياسي (Socio- Politique) في الجزائر، طغت بذلك على مشاغل الدولة الجزائرية منذ زمن غير بعيد جدًا، لكن في المقابل ما عسانا نقول عن علاقتها باللغة العربية، هذه التي رست في مكانتها الأولى على سلّم الوطنية ؟ "...يؤكد بعض الباحثين على أن المجتمع الجزائري هو مجتمع عربي– مسلم[49].

ثم يفحص البعض الآخر من الدارسين مصطلح اللغة الأمازيغية من أجل تقريب وجهات العلاقة بين اللغتين العربية والأمازيغية فيخلص قولهم إلى: "أن مصطلح اللغة الأمازيغية هو افتراضي لغياب اللغة الجامعة ولكن تبقى اللهجات البربرية لغات السكان الأصليين... ويعود أصل الأمازيغية الحامية وهي أخت العربية "، قطعًا للشك باليقين: اللغة الأمازيغية هي لغة أصيلة في المجتمع الجزائري المتعدد اللغات والمزدوج اللسان، فهي عريقة عراقة الناطقين بها، ويرجع بنا البحث في تقدّم مراحل اللغة الأمازيغية إلى تحليل – اللغة– التي وصفناها بها، وما أوقدت

---

[48] Noureddine toualbi, Op-cit, P.36.

[49] إسماعيل قيرة وآخرون، مرجع سابق، ص.186.

من تشنّجات فكرية متكررة، عبر الأزمنة السالفة خاصة في العشريات الحديثة حيث بدا من خلالها عنصر زاد قوة وعنفوانا، ألا وهو المطلب الأمازيغي أي "المطلبية الأمازيغية التي تجاذبها طرفان... يدعوا أحدهما إلى ترقية لغتيْ الوطن (الأمازيغية والعربية) بينما يدعوا الطرف الثاني إلى محاولة التعريب وفرض الأمازيغية ولو بالقوة "[50]، وقد سبق هذا الظرف، إطار زمني عصيب عانت خلاله اللغة الأمازيغية من شبح التغييب ومحنه، مما تركها تطبع تاريخها اللاحق بوسام التحدي وطابع التمرد من أجل البقاء ثم الريادة، في المرحلة الاولى:

أ- الفترة الاستعمارية:

"حيث كانت الخطة الكولونيالية... تعتمد أساسا على تدمير الدفاعات الذاتية بواسطة التسلل الثقافي، وإثارة الشكوك حول الانتماء الحضاري، وإثارة الشكوك حول الانتماء الحضاري، وإثارة النزاعات الاثنولوجية الوهمية لِخلخلة وإشغال نخبها بالإشكاليات المصطنعة مثل الادعاء بأن اللهجات العامية... تعاني القهر والاضطهاد من العربية الفصحى..".

إن بث الشكوك وإثارتها هي عملة المستعمر آنذاك، بل ورصيد بنيته التحتية ضمن استراتيجية أبعاد الأمازيغ الجزائر بين عن لغتهم ولهجاتهم المتنوعة، فعلا فقد تكلما عن اختلاف تكلم اللهجات في تعددها بين الناطقين لهذه اللغة الأصيلة، في مناطق متناثرة من الوطن.

ب- فترة العشريتين الأخيرتين من القرن الماضي:

امتازت هذه الفترة بتصعيد لهجة دعاة فرض اللغة الأمازيغية لأن المرحلة السياسة، قد تدهورت فيها المعطيات فبعد أعوام (1962-1980): "وانتشار البيروقراطية وغياب الديمقراطية والنظام الأمني.. هذا كله عجّل بعودة المكبوت، (إحداث الربيع الأمازيغي 1980/ إحداث قسنطينة 1986/ إحداث أكتوبر

[50] إسماعيل قيرة وآخرون، مرجع سابق، ص.212.

1988...)[51]. لقد سمحت الظروف التي تعالى صوت المطالبة بالأمازيغية وقويت النبرات وتصاعدت إزاء بعث اللهجة في وتيرة سياقة لإحداث الزمن، فكانت فطرة – الربيع الأمازيغي– قد أفاضت الكأس هذه الإحداث التي قيل عنها الكثير في مسيرة اللغة الأمازيغية بين مؤوّل ومتفهم لمراميها.

وتسارعت الإحداث لصالح القضية الأمازيغية لغة وثقافة، ولكن بعد تصاعدها بشكل حاد "...جعل الدولة الجزائرية تتراجع في قراراتها حيث رخّصت... تعليم الأمازيغية في جامعة تيزي وزو وبجاية وأنشأت أقسام اللغة والثقافة الأمازيغية عام 1990، كما تم إدراج تعليم هذه اللغة في المدارس سنة 1995، كما تم إنشاء المفوضية السلمية للأمازيغية في نفس السنة، بعدها مباشرة جاءت المرحلة التي كانت بمثابة الانطلاقة الصحيحة في تحديد معالم الهوية الجزائرية، ذلك مع إقرار التعديل الدستوري في استفتاء 1996/11/28 والذي على أثره اعتبرت المكونات الأساسية للهوية الجزائرية ولأول مرة هي: الإسلام، العروبة والأمازيغية وأخيرًا تم إنشاء المجلس الأعلى للغة الأمازيغية برئاسة "محمد ايديرايتْ عمران "[52].

غير أن المطالبين بحقوق اللغة الامازيغية ضمن مكونات اللهوية اللغوية والوطنية في الجزائر، لم يكتفوا بهذا الاعتراف المشروط، والغير رسمي. حيث استمرت الحركة النضالية والاحتجاجات المطالبة بالترسيم الدستور لهذه اللغة ضمن مركبات الهوية في الجزائر، وهذا ما كان فعلا؛ حيث في سنة 2002 بادر رئيس الجمهورية بتعديل دستوري. تضمن تعديل المادة الثالثة من دستور 1996، إذ جاء في التعديل وفي مادته الثالثة:" اللغة العربية لغة وطنية ولغة رسمية للدولة". المادة الثالثة مكرر **تمازيغت** هي كذلك لغة وطينة تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية عبر التراب الوطني[53].

---

[51] عز الدين مناصرة، الهويات، مرجع سابق، ص.219.

[52] شطاب كمال، **حقوق الإنسان في الجزائر بين الحقيقة الدستورية والواقع المفقود**، دار الخلدونية، الجزائر، 2002، ص.311 و312.

[53] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، دستور 2002.

أيد المجتمع الجزائري هذا التعديل لأنه يستهدف ترقية إحدى مكونات الهوية الوطنية إلى مصاف اللغة الوطنية، مما يجعله مطابقا للدستور الجزائري. إن المُشرّع الجزائري كان يتوقع مثل هذا التطور ولذا أبقى الباب مفتوحا أمام إضافة لغة أخرى، في حين حصّنه فيما يخص أي تراجع عن العربية– وهكذا أقرت الدولة الجزائرية– الاعتراف باللغة الأمازيغية لغة وطنية، حيث استخدم الرئيس صلاحياته الدستورية، ووافق المجلس الدستوري عندما عُرض عليه التعديل؛ إذ ارتأى بأن دسترة تمازيغت لغة وطنية بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني لا يمس بالمركز الدستوري للغة العربية باعتبارها " اللغة الوطنية والرسمية".

غير أنه ورغم تراجع الدولة الجزائرية عن قرار إقصاء الأمازيغية كلغة وطنية، ومركب من مركبات الهوية الوطنية، إلا أن الأمر جاء متأخر جدًا، فالجزائر ومنذ الاستقلال تعلم امتدادها التاريخي والجغرافي، والأصول الأمازيغية لعدد كبير من سكان الجزائر، كما تدرك طبيعة الاستعمالات اللغوية في الشارع اللغوي، المتعدد اللغات واللهجات الأمازيغية منها والعربية، فكيف إذن تتجاهل هذه الحقيقة التاريخية،؟ يبقى السؤال مطروح والإجابة مبهمة.

الخلاصة:

يبقى موضوع التنوعات اللغوية وممارستها اليومية في الجزائر قضية وموضوع يصعب الفصل فيه، أو حتى تحديده بشكل واضح، حيث أن التطرق لباقي التنوعات اللغوية في لسان الجزائريين قد تصادفنا العاميّات واللغة الأمازيغية وصولا حتما إلى اللغة الفرنسية، فالمجتمع الجزائري المتكلم بالأمازيغية وباللغات العامية، اختلف الباحثون حول ترتيب لغاته حسب الأولوية في سيولة تلك اللغة أو تلك كمًّا ونوعا.

لقد لمحنا في جزء الواقع السوسيولساني إلى الاختلاف الجوهري في الرؤى، فمثلا الباحثة خولة طالب الإبراهيمي التي تضع اللغة الأمازيغية في الصف الثاني من حيث الانتشار وتقر بتنوع اللغة العربية في المقام الأول بالنظر إلى الخريطة اللغوية الجزائرية لديها، أيضا قد حذا حذوها الباحث صالح بلعيد لما مدّ اللغة

العربية بما له من التقديس، تعبيرًا عن مكانتها المرموقة في أوساط المجتمع، فذهب إلى القول: تعلُّم وتعليم العربية يعني التقرب من الله، ثم يضع اللغة الأمازيغية في خدمة اللغة العربية فيواصل كلامه: "كما لا يوجد تاريخ أمازيغي مكتوب بالأمازيغية، فكله مكتوب بالعربية"، وجاء كلام المؤرخ محفوظ قدّاش يدلي بدلوه في مسألة التنوع اللغوي عندنا، فهو يضيف عنصرا جديدا، إذ يمنح اللغة العامية قيمة وأثر تفاضليا، قارنا إيّاها باللغتين العربية والأمازيغية هاته الميزة التي ترادف تسميتها لدي بعض الباحثين كلمة بربرية، حيث أن أصالتنا في اللغة الأمازيغية التي أضيفت لها اللغة العربية في وقت لاحق، فهاتان اللغتان هما الآن تعبران عن أصالتنا، كما أن العامية العربية الجزائرية هي عامل إثراء وتطوير للغة العربية الفصحى..

بهذا يبقى هدف محاولة رسم خريطة التنوع اللغوي في المجتمع الجزائري، والتي هي مساحة لغوية خصبة وجد مختلفة الألسن، هدف سامي وجميل قد يضيف لتاريخنا وتراثنا الثقافي اللغوي بعدا موضوعيا بعيد عن الذاتية والتحيز للغة دون أخرى بحكم حيادية التخصص و الطرح، كما أنه قد يكون عادلا لصالح اللغة الأمازيغية التي ظلت مسلوبة للهويتها اللغوية. غير أن هذا الهدف يبقى هدفا صعبا من حيث صعوبة التحديد السوسيولوجي واللساني لتطور اللغوي في الجزائر وحقيقة أسبقية لغة عن أخرى، كما أن الصعوبة تعود لأهداف والتوجهات السياسية والثقافية للمسؤولين في الدولة حول رسم شكل ومضمون السياسة اللغوية المنتهجة ضمن هذا التنوع اللغوي والتعدد اللساني، حيث أثرت هذه السياسة بشكل كبير في رسم معالم المسالة اللغوية بالجزائر وأعطتها أبعاد كثيرة وتوجهات متعددة، وهي المشكلة الأكثر حدة وصعوبة من مسألة تحديد البنية اللغوية.